تراث الإنسانية

NYROUF

الانيـادة

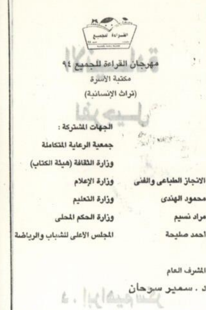
لفرجيل



الهيئة المصرية العامة للكتاب

د. إبراهيم سكر

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانجاز الطباعى والفنى

محمود الهندى

مراد نسيم

احمد صليحة

المشرف العام

د . سمير سرحان

الانيادة
لفرجيل
د . إبراهيم سكر

يحتل « فيرجيل » فى الأدب اللاتينى نفس المكانة التى يحتلها « هومر » فى الأدب اليونانى ، كما تحتل ملحمته « الانيادة » نفس المكانة التى تحتلها « الالياذة والأوديسا » ، وفيرجيل هو أعظم شعراء عصر « اوغسطس » ، وخير شاعر يمثل هذا العصر ويعبر عن احلامه وامانيه ، كما انه اكثر الشعراء اللاتينيين تأثيرا على الأجيال التالية .

اننا لا نعرف عن حياة « فيرجيل » الا القليل . ومن هذا القليل ، الذى اتفق عليه معظم المؤرخين والرواة (١)

(١) ان المصادر الاولى لحياة فيرجيل المستقاة من الرواة القدماء قد جمعت فى No. 72 of Lietzman's Kleine Texte (Bonn, Weber, 1911) p. 237, n. 6.
وهى تعتمد أساسا على دوناتوس ، فوكاس ، سيرفيوس ، بروبوس وغيرهم . قارن .
Rose, A Handbook of Latin Literature p. 237, n. 6.
كما يمكن الرجوع اليها أيضا فى : J. Brummer, Viț. Verg, 1912

انه يدعى بوبليوس فيرجيليوس مارو ـ « Publius Vergilius Maro ولد فى الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ٧٠ ق.م. أثناء قنصلية « جنايوس بومبيوس ماجنوس Gnaeceus Pompeius Magnus » ، « وماركوس ليكينيوس كراسوس Marcus Licinius Crassus وذلك فى قرية « انديس ـ Andes » ، التى تبعد بما يقرب من ثلاثة اميال رومانية عن « مانتوا Mantua » احدى مقاطعات « جاليا كيسالبينا ـ Gallia Cissalpina » ، اى بلاد الغال الواقعة جنوب الألب المتاخمة لشمال أيطاليا . وقد أصبح يوم ميلاد فيرجيل فيما بعد عيدا يحتفل به الشعراء والأدباء كل عام (٢) .

لم يكن « فيرجيل » اذن ، بحكم مسقط رأسه ، مواطنا رومانيا ، فلم تتمتع المقاطعة التى تنتمى اليها قرية « انديس » بالحقوق الرومانية الا بعد ان بلغ « فيرجيل » عامه الحادى والعشرين (٣) . ومن ثم فقد قال البعض انه من اصل غالى او من أصل أترسكى .

اما عن عائلته فقد حاول بعض النقاد المحدثين (٤)

---

(٢) قارن : Martial, XII, 67.

(٣) قارن : A.S. wilkins, Roman Literature, p. 70.

(٤) انظر : M.L. Gordon in Journ. Rom. Stud., 1034, pp. 1-12 ; Cited in Rose, op. cit., p. 233, n. 7.

ان يثبت انها كانت تحتل مركزا محليا هاما ، اذ يبدو ان أمه « بولا ماجيا Polla Magia » (٥) كانت تنتمى الى اسرة منتشرة فى ايطاليا ، وتتمتع بمركز مالى لا بأس به ، وقد ذهب البعض ان الاسم « ماجيا Magia » المشتق من كلمة « Magus » بمعنى ساحر ، كان من العوامل التى ساعدت على خلق الاعتقاد ، الذى ساد فى القرون الوسطى ، بان « فيرجيل » كانت له قدرة عجيبة على سحر (٦) . واما ابوه فقد كان ينتمى الى طبقة الفلاحين (٧) ، ويبدو انه كان يعمل فى باديء الأمر اجيرا عند والد زوجته الدعو « ماجيوس Magius » وقد استطاع بجده ونشاطه واخلاصه فى العمل ان يكسب ثقته وعطف مخدومه الذى زوجه ابنته ، وساعده على تكوين حياته الخاصة ، اذ اننا نسمع بعد ذلك انه قد اصبح لوالد فيرجيل ارضه الخاصة ، ولا ندرى على

---

(٥) انظر :
Probus : 'Natus ... matre Magia Polla, cited in Brummer, op. cit., p. 83 ; Focas : 'Mater Polla fuit Magii non infima probes', cited in Brummer, op. cit., p. 50.

(٦) انظر :
J.W. Duff, Literary History of Rome, to the clo e of the Golden Age, p. 319.

(٧) قارن :
Probus, § Patre Vergilio rustico', in Brummed, op. cit., p. 83 ; cf. Macr. Satur. V. 2. 1.

وجه التحديد كيف آلت اليه ملكية هذه الأرض ، هل هى ثمرة مجهوده وكفاحه ، أم أنها آلت اليه كمهر لزوجته ، أم أنه ورثها بعد وفاة والد هذه الزوجة ٠ على كل لقب شب فرجيل فوجد أن أباه يمتلك ارضا ، وقد كانت هذه الأرض سببا فى تدعيم علاقة فيرجيل بكثير من رجالات العصر ٠

ان شخصية كشخصية « فيرجيل » ، حظيت بمثل ما حظى به من مجد وشهرة ، لم تكن لتترك دون أن ينسج حول ميلادها الكثير من الروايات والأساطير ٠ تحكى احدى هذه الروايات أن والدة « فيرجيل » رأت فى منامها ، وهى حامل ، انها تلد غصنا من الغار ، ما كاد يلمس الأرض حتى انغرس فيها ونما وترعرع بسرعة عجيبة ، حتى تحول الى شجرة يانعة تحمل مختلف الثمار والأزهار (٨) وتكمل هذه الرواية رواية أخرى تقول بان والدة « فيرجيل » ، بينما كانت تسير مع زوجها فى اليوم التالى لرؤية الحلم ، جاءها المخاض فجأة ، فانتحت جانبا من الطريق ووضعت وليدها فى أخدود (٩) وتروى رواية ثالثة بأنه طبقا للطقوس المتبعة ، قد زرع فى مكان ميلاد « فيرجيل » غصنا من شجر الحور ، وقد نما هذا الغصن

---

(٨) انظر : Donatus, in Brummer, op. cit., p. 1.

(٩) نفس المرجع ص ٢ ٠

بصورة عجيبة ، حتى أصبح ارتفاعه يربو على أشجار الحور التى زرعت منذ أمد بعيد ، وقد سميت هذه الشجرة « شجرة فيرجيل » وكانت النساء الحوامل يبجلنها ويتبركن بها ويقرأون أمامها بعض الأدعية والصلوات (١٠) وهناك رواية أخرى تقول أن « فيرجيل » ، عندما أبصرت عيناها نور الدنيا ، لم يصرخ كما يصرخ الأطفال عادة ساعة ميلادهم ، بل كانت تتجلى على وجه نظرة وضاءة لطيفة توحى بالأمل المعقود على مصير هذا الطفل (١١) وسواء صحت هذه الروايات أم كانت من نسج الخيال ، فهى دلالة واضحة على مقدار ما كان يحظى به الشاعر من اعزاز وتقدير .

لقد نشأ « فيرجيل » وتربى فى بيئة زراعية بين المراعى والأحراش (١٢) وقد ظهر أثر هذا بوضوح فى مواضع كثيرة من أعماله ، وعلى الأخص الرعويات والزراعيات . وقد وافقت العشرون سنة الأولى من حياة « فيرجيل » تلك الفترة الخطيرة من تاريخ روما ، أعنى فترة الحروب الأهلية الأولى التى اندلع لهيبها بين حزبى

---

(١٠) نفس المرجع السابق ص ٢ .

(١١) نفس المرجع السابق ص ٢ .

(١٢) قارن :
Macr. Satur. V. 2, 1. ... 'rusticis parentibus nato inter silvas et frutices educto'.

« ماريوس » و « سولا » ، وكذلك النضال الرهيب بين « قيصر » و « بومبى » . وعندما كان « فرجيل » صبيا فى الحادية عشرة من عمره جاء « قيصر » ليحكم الولاية التى تضم « جاليا كيسا لبينا » ، حيث تعود « قيصر » أن يمضى فترة الشتاء ، وقد انضمت هذه الولاية الى « قيصر » أثناء نضاله مع « بومبى » : ومن المؤكد أن « فرجيل » قد وقع تحت تأثير سحر تلك الأسرة العظيمة ، أسرة يوليوس قيصر ، التى أشاد فرجيل بأمجادها فى أخلد ملحمة كتبت باللاتينية ، اعنى « الانيادة » (١٣) .

ويبدو أن والد « فيرجيل » لم يدخر وسعا فى سبيل تعليم والده ، كأحسن ما يتعلم أبناء طبقة النبلاء . فبعد أن اتم «فيرجيل» مرحلة التعليم الأولى فى قريته وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، أخذه أبوه الى «كريمونة Cremona» ليتلقى ما يعادل مرحلة التعليم الثانوى عند مدرس الأدب «grammaticus» ، حيث تمكن من دراسة الأدب والشعر اللاتينى دراسة مستفيضة ابتداء من « انيوس » الى « كاتولوس » ؛ وقد مكث فى « كريمونا » حتى بلغ السادسة عشرة من عمره ، وارتدى زى الرجال « toga virilis »

---

(١٣) قارن : Wikins, op. cit., pp. 78-79.

ثم رحل الى « ميلان » ، عاصمة الولاية فى ذلك الوقت ، طلبا فى المزيد من العلم ، حيث تعلم اليونانية على يد من يدعى « بارثينيوس البيثينى Parthenius of Bithynia »

وقد ساعده ذلك على قراءة روائع الأدب الاغريقى فى لغتها الأصلية ، وبخاصة « هومر » ، « وهيسيود » ، و « ثيوكريتوس » ، و « أبو لونيوس الرودى » الذين كان لهم أكبر الأثر على شعره · ويبدو أن « فيرجيل » لم يجد فى « ميلان » ما يشبع نهمه فى تلقى العلم ، لذلك فانه لا يمكث بها الا فترة قصيرة لا تزيد عن السنتين ، ارتحل بعدهما الى روما ، التى كانت تعج فى ذلك الوقت بالأساتذة من كل علم وفن ، لينهل من علمهم وأدبهم ·

كان على أى فتى طموح أن يختار بين احدى المهنتين الأساسيتين فى ذلك الوقت العسكرية أو المدنية · وقد اختار « فيرجيل » ، لرقته وضعف صحته ، المهنة الثانية · ومن ثم فقد كرس جهده فى بادىء الأمر للتدريب على الخطابة ، ليصل الى ما وصل اليه « شيشرون » من بلاغة وفصاحة رفعته الى قمة المجد والشهرة · وعلى الرغم من أن « فيرجيل » قد تلقى تعليمه وتدريبه على يد واحد من أفضل أساتذة العصر ، أعنى « ابيديوس » ـ حيث كان يرافق « فيرجيل » فى الدراسة « قيصر

أوغسطس » نفسه (١٤) ، الا أنه لم يحرز أى تقدم ملحوظ فى هذا الميدان ، فلم يترافع أمام القضاء الا مرة واحدة لم تتكرر • ويبدو أن حياءه الطبيعى وخجله ورقته كانت عقبة كأداء تسد عليه هذا السبيل • وعلى كل فاننا نجد آثار هذا التدريب على الخطابة فى خطبه التى جاءت فى « الأنيادة » ، كما نجد أيضا ، وعلى الأخص فى الكتاب الرابع من الأنيادة » ، آثار واضحة لتلك المحسنات البلاغية ، التى تركت أثرا عميقا على الأدب فى القرن التالى • ومن ثم فقد ترك « فيرجيل » هذا الميدان عن طيب خاطر ، واتجه لدراسة الفلسفة ؛ وكان أستاذه الأول فى هذا الاتجاه الفيلسوف الأبيقورى المعروف « سيرو — Siro » (١٥) •

ويبدو أن « فيرجيل » قد درس أيضا الطب والعلوم الرياضية بما فى ذلك الفلك ، فان سعة اطلاعه تبدو جلية واضحة خلال أعماله ، حتى لقد استحق بجدارة لقب

---

(١٤) انظر :
Probus. II. 6-7 : 'Ut primum se contunt Romae, studit apud Epidium oratorem cum Caesare Augusto.' Cited in Brummer, op. cit., p. 67.

(١٥) قارن :
Catalept., 5, if genuine of Vergil, (no ad beatas vela mittimus portus/magni petentes docta dicta sironis,/ vitam ab omni vindicabimus cura) cited in app. Verg. of O. Ribbech, 2nd. ed. 1895.

« العليم – doctus ذلك اللقب الذى أطلقه عليه كل شعراء عصره (١٦) . وفى الجزء الثانى من « الزراعيات » فقرة (٤٧٥–٤٩٢) يتجلى فيها اعجاب « فيرجيل » الشديد بدراسة العلم والفلسفة ، فهو يقول فى ختام هذه الفقرة : (٤٩٠–٤٩٢) .

« سعيد من استطاع أن يعرف علة طبيعة الأشياء ، وطرح تحت قدميه كل المخاوف والقدر المحتوم وضجيج أخيرون الشره » .

وبعد أن أتم « فيرجيل » تعليمه ، عاد الى مزرعة أبيه ، وقد مكنته طبيعته ، التى يغلب عليها الخجل قرض الشعر . ومن المحتمل أن تكون بعض القصائد والحياء ، أن يعتزل الناس ويعكف على الاطلاع ومحاولة القصيرة ، التى ينسبها البعض الى « فيرجيل » مثل Culex, Dirale, Moretum. ثمار تلك الفترة المبكرة من حياة الشاعر الأدبية .

وعلى أية حال ، فان أول معلومات أكيدة تصلنا عن شعر « فيرجيل » يرجع تاريخها الى حوالى عام ٤٢ق.م ، بعد هزيمة قتله « قيصر » فى معركة « فيليبى » وانتقال

---

(١٦) انظر :
T.E. Page, Aen. VI intr. p. V. Ellis., Catalept, 35.

العالم الرومانى الى يد الحكومة الثلاثية المؤلفة من « أوكتافيوس » ، « انطونيوس » ، « ليبيدوس » ، لقد وعد المنتصرون جنودهم (١٧) بأرض كثير من المدن الايطالية ، من بينها بلدة « كريمونا » والحدود المجاورة لها بما فى ذلك بلدة « مانتوا » (١٨) ومن الطبيعى ان تقع مزرعة والد « فيرجيل » تحت طائلة هذه المصادرات . ولكن الشاعر الشاب « فيرجيل » . كان قد حظى برضاء « جايوس أسينيوس بوليو Gaius Asinius Pollis » الذى كان يحكم ولاية « جاليا كيسا لبينا » عام ٤٢ ق . م ، وكان هؤلاء الآخرين ادباء وشعراء (١٩) كما حظى برضاء خليفته فى الحكم وهو « الفينوس فاروس Alfenus Vaus » (٢٠) وكانا من اعضاء لجنة توزيع الأراضى على الجنود ، فالتجأ اليها طالبا المعونة ، فنصحناه بأن يلجأ الى قيصر الشاب فى روما وفعلا يمهد له « بوليو »

---

(١٧) قارن الدعويات ١ ، ٧١ :

"Inpius haec tam novalia miles habebit"

وانظر ايضا الرعوية ٩ ، ٢ ـ ٦ .

(١٨) انظر الرعوية ٩ ، ٢٧ـ٢٨ :

Vare, Tuum nomen, superet modo Mantua nobis,/Mantua voe miserae nimium Vicina Cremonae.

(١٩) قارن هوارس ، ص ١ ، ٢ ، وقد تغنى فيرجيل بالثناء عليها فى الرعوية دراسة ، كما اهدى اليه الرعويات المبكرة . قارن الرعوية .

(٢٠) وقد تغنى فيرجيل بالثناء عليه فى الرعوية السادسة .

سبيل اللقاء باوكتافيو (٢١) ، والأمر الذى ساعده فى الحصول على قرار باسترداد مزرعة أبيه • وقد عبر « فيرجيل » عن امتنانه وعرفانه بالجميل للحاكم الشاب « أوكتافيوس » وذلك فى رعويته الأولى : (٦-١٠) •

« أى ميليبويوس ، إن من منحنى هذا النعم لهواله ، وسيظل فى نظرى الها دائما ، ذلك الذى سيروى مذبحه دائما بدم حمل وديع من حظائرنا • فهو الذى سمح لى بان أعزف على ناى الخشبى ما طاب لى من الألحان » •

وذلك ردا على قرار « أوكتافيوس » باعادة الأرض اليه ، ذلك القرار الذى جاء فى نفس الرعوية على لسان « فيرجيل » كما يلى :

« أطلقوا الأبقار فى المرعى ، كما كنتم تفعلون من قبل أيها الغلمان • وارسلوا الثيران » (٢٢) •

ومنذ ذلك الوقت عاش « فيرجيل » بين روما ونابلى حيث نظم فيها كتبه الأربعة عن الزراعيات (٢٣) ، التى

---

(٢١) انظر :
Schol. Dan: on Ecl. p. 10 'carmina quibus sibi Pollionem interessorem apud Au gu tum conciliancat Cited in T.E. Page, Bucotics, intr. p. XIII, n. 1.

(٢٢) الرعوية الأولى : ٤ •
'Pascite ut ante inves. submittite touros'.

(٢٣) قارن الزراعيات ، ٤ ، ٥٦٢-٥٦٤ •

استغرقت ما يقرب من سبع سنوات (٢٤) (من ٣٧ – ٣٠ ق.م.) . وقد أصبح واحد ممن يتمتعون بعطف ورعاية وصداقة امبراطور المستقبل ؛ كما أن الرعويات ، التى كتبها فى ثلاث سنوات تبدأ من حوالى ٤٢ ق.م قد أكسبته بعض الشهرة ، ولفتت اليه نظر « مايكيناس Maecenas » الراعى الأول للفنون والآداب فى ذلك الوقت ووزير « أوغسطس » ؛ وكان يجتمع فى قصره على تل « اسكويلينى » جماعة من الأدباء الممتازين . وقد أصبح « فيرجيل » أحد هذه الجماعة ، بعد أن قدمه « بوليو » الى « مايكيناس » . « وفيرجيل » هو بلا شك الذى قدم بدوره الشاعر « هوراس » الى ذلك الوزير (٢٥) . وقد ظل « هوراس » يحتفظ له بهذا الجميل ، الذى وطد العلاقة بين الشاعرين ، حتى لقد كان « هوراس » يعتبر « فيرجيل » نصف روحه « animae dimidium » (٢٦) ، ويضعه فى منزلة أعز الأصدقاء ، كواحد من تلك الأرواح التى لم تر الدنيا مثلها فى النقاء والطهارة (٢٧) .

---

(٢٤) انظر :
Donatus, vit, 'Bucolica Triennio, Georgica VII, Aeneida xi perfecit annis).

(٢٥) انظر هوراس ، الهجائيات ، ١ ، ٦ ، ٥٤ ، قارن :

(٢٦) انظر هوراس الأغانى ١ ، ٣ ، ٨ .

(٢٧) انظر هوراس ، الهجائيات ١ ، ٥ ، ٤ .

لقد أمضى « فيرجيل » سبع سنوات ، تنتهى عام ٣٠ ق٠م ، فى كتابة « الزراعيات » ، ثم كرس البقية الباقية من حياته فى كتابه « الانيادة » ، وقد استغرق ذلك ما يقرب من احدى عشر سنة ٠ ولكن « فيرجيل » لم يشأ نشر عمله الا بعد تنقيحه ومراجعته ٠ ثم اعتزم القيام برحلة الى الشرق لزيارة بعض المعالم التى ورد ذكرها فى عمله ٠ وأثناء زيارته لبلاد اليونان ، التقى فى « أثينا » بالامبراطور « أوغسطس » ، الذى كان عائدا من « ساموس » ، وصحبه فى طريق عودته الى أرض الوطن ، ولكن صحة « فيرجيل » التى كانت غاية فى الضعف ، قد تحطمت بسبب تعرضه للحر الشديد فى « ميجارا » ، ولم يكد يصل الى « ايطاليا » حتى دهمه الموت فى « بروندسيوم » فى العشرين من سبتمبر عام ١٩ ق٠م ٠ ، ونقل جثمانه الى « نابلى » ودفن فى قبر على الطريق المؤدية الى « بوتيولى Puteoli » (٢٨) وقد أصبح هذا القبر فى العصور التالية محل تبجيل أسطورى (٢٩) ٠

والنقش الذى يقال انه كان محفورا على قبره ، والذى نسبه البعض خطأ الى « فيرجيل » نفسه (٣٠) به

---

(٢٨) انظر :

Cyril Bailey, Oxf. Class. Dict. p. 949.

(٢٩) قارن بلينى الأصغر ، الرسائل ٣ ، ٧ ٠

(٣٠) قارن :

Duff. op. cit. p. 320.

اشارة الى محل ميلاده ومماته ودفنه والى موضوعات أعماله الثلاثة العظيمة :

لقد انجبتنى مانتوا ، واختطفتنى كالابريا ، وتمسك بى الآن بارثينوبى (نابلى) : وقد تغنيت بالمراعى والريف والقواد (٣١) ·

وقبل أن نعرض اعمال « فيرجيل » ، يجب أن نتذكر أن الشعر اللاتينى ، باستثناء الهجاء فيما يقال ، قد نهض أساسا على محاكاة النماذج الاغريقية بوجه عام · وكان قرار الدوائر المثقة ، التى كان « فيرجيل » يكتب لها ، يتحولون عن كل قصيدة يعتمد كاتبها على فطرته فحسب ، ويرحبون باعادة انتاج الروائع الاغريقية · وقد وضع « هوراس » للشعراء القاعدة التى تحقق لهم النجاح فى هذا المضمار :

« ادرسوا النماذج الاغريقية ، وتأملوها أثناء الليل وأطراف النهار » (٣٢) ·

---

(٣١) انظر المرجع السابق ص ٣٢٠ :
Manuta me genuit, Calabri rapuere, tente nunc.
Parthenope : Cecini pascua, rura, duces'.

(٣٢) هوراس ، فن الشعر ، ٣٦٨ :
'... Vos exemplaria Graeca nocturna versate manu,
versate diurna !

ويؤكد لنا سنيكا الاكبر (Sua . 3) أن فيرجيل قد أخذ عن الاغريق ·

ان « الرعويات » تمثل أول أشعار مؤكدة للشاعر
« Boukolika — Bucolica » يطلق عليها أحيانا اسم عادة
« فيرجيل » ، وهى تتألف من عشرة قصائد قصيرة ، تسمى
Eclogae بمعنى مختارات . كان شعر مدرسة الاسكندرية
أحب ألوان الشعر دراسة فى ذلك الوقت من تاريخ الأدب
اللاتينى (٣٣) ، وكانت رعويات « ثيوكريتوس Theocritus »
التى يطلق عليها اسم « ايديليا Idyllia » كثر اشعار
مدرسة الاسكندرية سحرا وجاذبية . وكلمة « ايديليا »
معناها « صورة قصيرة » تصور فى معظمها حياة الرعاة
وحياة الريف ، وغالبا ما تأخذ شكل الحوار . ويرجع
أصلها فى الغالب الى حب الموسيقى والولع بالأغانى ،
اللذين ساعد على تطورهما سهولة وبساطة الحياة الرعوية
فى الجنوب ، مما يشيع جوا من البهجة والسعادة (٢٤) ،
كما يرجع أيضا الى عادة التنافس فى الغناء والى الارتجال
الذى كان شائعا فى الأعياد الريفية ، وعلى الأخص بين
الدوريين ، الذين كانوا يشكلون جزء كبيرا من المستعمرات
فى صقلية ، حيث أمضى « ثيوكريتوس » معظم حياته ، رغم

---

(٣٣) انظر :
Jebb, Primer of Greek Literature, part III, ch. i.

(٣٤) قارن لوكرينيوس ، عن طبيعة الاشياء ، ٥ ، ١٣٧٩ وما بعده .

انه ولد فى جزيرة كوس – « Cos » وامضى بعض الوقت فى الاسكندرية (٣٥) .

ورغم أن رعويات « فيرجيل » ، من ناحية الشكل ، تعتبر محاكاة لرعويات « ثيوكريتوس » ، الا انها تختلف عنها فى الجوهر . فرعويات « ثيوكريتوس » مرتبطة بالطبيعة الحقة ، فالمناظر واقعية ، والرعاة حقيقيون من لحم وبم يتدفقون حيوية . أما رعويات « فيرجيل » فيغلب عليها طابع الصفة والفن ، فهى صور مثالية للحياة الريفية ، كتبت لتناسب الذوق الرفيع لقراء عاصمة العالم المثقفين (٣٦) . وقد لاحظ « هوراس » (٣٧) أن أهم ما يميز هذه الرعويات هو الرقة والرشاقة Rutuli atque facetum » . ولكن لو تأملنا رعويات « فيرجيل » بامعان ، لادركنا أن « ثيوكريتوس » لم يكن بأى حال النموذج الوحيد الذى احتذاه « فيرجيل » ، فمما لا شك فيه أن « فيرجيل » قد أحب « هيسيود » وتأثر به حتى قبل أن يقدم على كتابة الزراعيات ، كما أنه لابد وأن يكون قد وقع تحت تأثير شعراء روما السابقين عليه ، فبعض

(٣٥) انظر :
T.E. Page, Virgil, Bucolics, inter. p. xviii.

(٣٦) المرجع السابق ص ١٨–١٩ .

(٣٧) انظر هوراس ، الهجائيات ١ ، ١٠ ، ٤٤ .

حركات عروضه تذكر المرء بكاتوللوس (٣٨) . وفى الرعوية السادسة المهداة الى « فاروس » تبدأ أغنية « سيلينوس » بقصة نشأة العالم على نهج « لوكريتيوس » بتعبيراته وأنغامه . وها هى بعض أبيات هذه الأنشودة (٣٩) .

فقد أخذ ينشد كيف أن العناصر الأولى للأرض والهواء والبحر والماء النارى قد التقت معاً فى الفضاء العظيم ، وكيف نشأت من هذه العناصر الأولى بداية كل الأشياء ، وكيف تشكلت الكرة الأرضية الدقيقة نفسها ، ثم كيف بدأت تتصلب وتحتجز البحر فى الأعماق ، وتتكون أشكال الأشياء رويداً رويداً ، وكيف أن الأرض تذهل الآن من الشمس الجديدة التى تشرق من عل ، وكيف يسقط المطر من السحب المحلقة عالياً ؛ ومتى تبدأ الغابات فى الظهور لأول مرة ، ومتى تتجول الحيوانات القليلة بين الجبال التى لا تعرفها . وبعد ذلك يشير الى الصخور التى ألقتها بيرا ، والى ممالك ساتورنوس ، والى الطيور القوقازية ، والى سرقة بروميثوث .

وفى هذا ما يدل على أن فيرجيل كان يرى امكان قبول الأبحاث الفلسفية كموضوع لشعره بجانب الموضوعات

---

(٣٨) قارن : Duff, op, cit., p. 323.

(٣٩) الرعوية السادسة ، ٣١ وما بعده ، قارن لوكريتوس عن طبيعة الأشياء ، ٥ ، ٢٣٥ وما بعده .

الأسطورية . وعلى كل فانه يكاد يكون أمر مستحيلا أن يحصى المرء جميع مصادر « فيرجيل » التى اعتمد عليها وسار على نهجها ، وقد لاحظ « ماكروبيوس » (٤٠) أن علم « فيرجيل » يميزه حياء نصف صامت وخفى يجعل من الصعب الاهتداء الى ينابيع علمه .

ومهما قيل عن التناقض وغلبة الصنعة فى الرعويات ، لا يستطيع أحد أن ينكر اخلاص هذه الأشعار فى حبها للطبيعة واهتمامها بالجمال ، وتوفيقها فى توصيل هذه التأثيرات الى نفس القارىء . فالشاعر يجعل أهل الريف يتغنون كما لو يتغن أهل ريف من قبل : ففى « أركاديا » ، التى صورها فيرجيل على نهج « ثيوكريتوس » ، وان كان قد زينها بحيث امتزجت فيها المناظر الايطالية بالمناظر الصقلية فى تناقض يشبه تناقض الأحلام ، يشدو رعاة مثاليون متغنين بحبهم لراعيات مثاليات ، ذاكرين آمالهم وأحوال يأسهم وهم يتبارون على نهج لا مثيل له بأبيات ينشدها كل بدوره (٤١) . فهنا « أركاديا » ليست مقدمة للتحليل بل للمتعة والتذوق : قطعة من أرض الجنوب ذى الشمس المشرقة والأشجار المورقة والظلال الوارفة ، حيث يسير الناس الهوينى بين

---

(٤٠) انظر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١٨ فى أوله ، قارن :
(٤١) انظر الرعوية السابعة ، قارن :
Duff, op. Cit. p. 323.

المراعى والقطعان والحشائش والزهور والتلال والكهوف .
وحتى عندما تسمع أصداء الحرب والمصادرات التى تجمت عنها ، فانك تحس أن موسيقى « فيرجيل » قد طغت عليها ، فانين أحدهم على مصادرة أرضه ، يقابله من ناحية أخرى تبجيل المعترف بالجميل لأوكتافيوس الاله الذى يمنح السلام (٤٢) وان الرعويات مليئة بتلك اللمسات التى تكشف عن شعور رومانتيكى نحو الطبيعة والهرب من حضارة المدينة (٤٣) .

وعلى كل فان رعويات « فيرجيل » كانت شيئا جديدا على الرومان ، فالى جانب جمالها ومواطن سحرها ، كانت متقنة من الناحية الفنية ، فقد نجح « فيرجيل » فيما فشل فيه غيره ممن سبقوه ، فخلق من اللغة اللاتينية انغاما وايقاعات رائعة لم يسمعها الرومان من قبل . ومن ثم فقد لاقت الرعويات نجاحا كبيرا بمجرد ظهورها ، حتى ليقال أنها كانت تلقى على المسرح بحماس عظيم (٤٤) .
وهذه الأشعار هى التى منحته فرصة الدخول فى بلاط « أوكتافيوس » والحصول على رعاية « مايكيناس » .

---

(٤٢) انظر الرعوية الأولى .

(٤٣) انظر على الاخص الرعوية الأولى ٥١ وما بعده ، الرعوية الخامسة ٤٥ وما بعده ، ٨١ وما بعده ، الرعوية الثامنة ٣٧ وما بعده .

(٤٤) قارن تاكيتوس ، محاورة حول الخطباء ، ١٣ ، ٦ ـ ٨ .

ومكنته من احتلال مكانه اللائق به كشاعر للطبيعة والحياة الريفية • وليس معنى ذلك ان « فيرجيل » قد بلغ ذروة الكمال الفنى فى هذه الأشعار ، فمازال أمامه خطوات يخطوها نحو الكمال عندما تناول موضوعات أسمى وأجل وهذا ما تراه فى عمله التاله « الزراعيات » •

و « الزراعيات » كما يدل عليه « Georgica » عبارة عن مقالة عن شئون الزراعة وما يتعلق بها وقد كتبها « فيرجيل » تلبية لرغبة « مايكيناس » (٤٥) ، كما أنها مهداة اليه • فمنذ نشر الرعويات وقد أصبح فيرجيل أحد رجال الأدب الذين تعتمد عليهم الدولة فى الدعاية لمشروعاتها • وقد كان أحد المشروعات الهامة ، التى واجهت « أوكتافيوس » ووزيره « مايكيناس » ، صد الخطر الداهم الذى يهدد ايطاليا ، أعنى خطر اهمال الأراضى والهجرة من الأرياف • فليس بعجيب اذن أن يشير « مايكيناس » على « فيرجيل » بكتابة هذه المقالة عن « الزراعيات » كوسيلة من وسائل الدعاية بقلم شاعر أثبت مقدرة فائقة على التعبير عن مثل هذه الأمور فى الرعويات ، وذلك بمهارة لم يسبق لها نظير •

تتألف « الزراعيات » من أربعة كتب تحتوى فى

(٤٥) الزراعيات ، ٣ ، ٤١ـ٤٢ :

"..., tua, Maecenas, haud mollia iussa : te sine nil altum mens inchoat."

جملتها على ٢١٨٨ بيتا . وان اهم ما يميز « الزراعيات » هو احكام صقلها ، فقد كتبت على مهل وبعناية فائقة ؛ فلو سلمنا بانها كتبت فيما يقرب من سبع سنوات ، لكان متوسط ما كتب فى اليوم الواحد اقل من بيت واحد . ومن ثم فقد صقل كل بيت صقلا تاما ، أو على حد قول « فيرجيل » نفسه فيما يقال « كان يلمس أبياته ليعطيها شكلا كما تفعل الدبة بأولادها » (٤٦) ولذلك فان الزراعيات تعتبر احسن ما انتج « فيرجيل » من ناحية المهارة الفنية ، بل أروع ما كتب بالاتينية فى الشعر التعليمى ، لا يدانها الا عمل « لوكريتوس » المعروف باسم De Rerum Natura أى « عظ طبيعة الأشياء » .

ويعالج الكتاب الأول من « الزراعيات » موضوع زراعة المحاصيل والعلامات الدالة على تقلبات الجو ؛ ويتحدث الثانى عن زراعة الأشجار لا سيما أشجار الكروم والزيتون ؛ ويناقش الثالث موضوع تربية الماشية ؛ والرابع يعترض موضوع تربية النحل ، الذى يبدو انه كانت له أهمية أكثر مما له الآن ، باعتبار أن عسل النحل كان

---

(٤٦) انظر جيليوس ، الليالى الاثبيكية ، ١٧ ، ١٠ ، ٢ .
êparere se versus more atque ritu ursino'.

قارن دوناتوس ، حياة فيرجيل :
Carmen se more parere dicens et lambendo effingere'.

وقارن :
Duff, op. cit., p. 320.

المصدر الوحيد للحصول على مادة السكر ، ويختم فيرجيل هذا الموضوع بمشهد أسطورى يحتل ما يقرب من مائتى وخمسين بيتا (٥١٥-٥٥٨) يحكى فيه « فيرجيل » كيف أن الراعه « أريستايوس » كان السبب فى موت «يوريديكى» زوجة « أورفيوس » ، ومن ثم فقد غضبت عليه أخواتها عرائس الغاب وانتقمن منه بأن دمرن جميع خلايا نحله ، فذهب الى أمه « كيرينى » يستشيرها فى هـذا الأمـر ، فنصحته بأن يذهب الى « بروتيوس » فعنده الخبر اليقين ، فيكشف له هذا عن سبب ما نزل به من دمار ، ويطلب منه أن يعمل على تهدئة عرائس الغاب بتقديم بعض الثيران كأضحيات ، وقد خرجت من جيف هذه الثيران أسراب جديدة من النحل ·

ان عملا كهذا ، كان من الممكن ، فى يد شاعر آخر غير « فيرجيل » ، أن يتحول الى قصيدة تفيض بالمديح والثناء على السياسة الزراعية للدولة · أما « فيرجيل » فعلى الرغم من أنه أثنى على « أكتافيوس » وسياسته الزراعية أكثر من مرة (٤٧) ، الا أنه خصص كل العمل لوصف الأمور الزراعية ، كما يراها هو باعتباره أحد

---

(٤٧) انظر على الأخص الزراعيات ١ ، ٤٩٨ وما بعده وهى دعوة خالصة لآلهة روما أن تبقى على أوكتافيوس ليعمل على انقاذ الدولة من الدمار ، وانظر أيضا الزراعيات ٣ ، ١٠ وما بعده ·

الزراع ، الذين يحبون الحياة الريفية ويعرفون كل ما فيها من حلاوة ومرارة .

والمصدر الوحيد الذى يعترف « فيرجيل » بمحاكاته هو « هيسيود » « شاعر أسكرا » المعروف ، اذ يقول : « انى اتغنى بشعر أسكرا فى البلدان الرومانية (٤٨) . وعمل « هيسيود » ، الذى يقال ان « فيرجيل » قد سار على نهجه ، هو « الأعمال والأيام Erga Kai Hemera » وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح والارشادات وضعت فى قالب شعرى ، ومثل هذا النوع كان يطلق عليه اسم « الشعر التعليمى » ، لأن غرضه الأساسى هو التثقيف والتهذيب ، فلم تكن الكتابة معروفة فى العصور القديمة أو كانت قليلة الاستعمال ، ومن ثم فان هـذه الحـكم والنصائح والارشادات غالبا ما كانت توضـع فى قالب شعرى ، والسبب فى ذلك بسيط معروف ، وهو أنها ، وهى فى القالب الشعرى أقل تعرضا للتحريف والتغيير والتبديل ، كما أنها أسهل فى الحفظ (٤٩) وحتى عنـدما أصبح النثر الفنى معروفا وشائعا ، فان بعض الفلاسفة كانوا يحاولون جعل موضوعاتهم أكثر تشويقا بوضعها فى القالب

(٤٨) الزراعيات ٢ ، ١٧٦ :
'Ascraeum cano Romana per opida carmen'.

(٤٩) قارن كوينتليان ، حول تعليم الخطيب ١ ، ١ ، ٣٦ ، ٩ ، ٢ ، ٣٩ .

الشعرى (٥٠) . ولكن صلة « فيرجيل » بعمل « هسيود » تقل كثيرا عن صلته برعويات « نيوكريتوس » . ومن الواضح أن مصادر فيرجيل كثيرة متعددة : فمن « نيكاندروس » استعار « فيرجيل » الاسم « Georgica » وقد فقدت ولا نعرف الى أى مدى تأثر بها « فيرجيل » . ومن الممكن أن يكون الكتاب الرابع لزراعيات « فيرجيل » محاكاة لعمل آخر لنفس الكاتب يسمى « تربية النحل Melissurgica » ، وقد فقد هذا العمل أيضا ، ومما يدل على أن « فيرجيل » كان ينقل عن هذا الكتاب أن وصف « فيرجيل » للثعبان (٥١) يشبه ما جاء عند «نيكاندروس» فى عمله الذى وصلنا كاملا وهو « الترياق » « Theriaca » ولابد وأن يكون « فيرجيل » قد رجع الى « ايراتوستينيس » عند حديثه عن الأجرام السماوية (٥٢) ، والى « أراتوس » عندما تعرض للعلامات الدالة على تقلبات الجو (٥٣) . وقبل أن يبدأ « فيرجيل » الكتابة بوقت قصير ، كان « لوكريتوس » قد وضع فلسفة « أبيقور » فى عمله الشعرى

(٥٠) قارن لوكريتيوس ، عن طبيعة الأشياء ، ١ ، ٩٢٦ وما بعده .

(٥١) الزراعيات ، ٣ ، ٤٢٥ وما بعده .

(٥٢) انظر : الزرعيات ، ٢٣١ وما بعده .

(٥٣) انظر : الزراعيات ، ١ ، ٣٥٦ وما بعده .

قارن :

Duff, op. cit., p. 327.

المعروف باسم De Rerum Natura ومما لا شك فيه أن تلك القصيدة الرائعة كانت فى ذهن « فيرجيل » وهو يكتب « الزراعيات » (٥٤) ومع ذلك فان « فيرجيل » يختلف اختلافا بينا عن كل من أخذ عنه وتأثر به ، فقد كتب « هيسيود » شعرا تعليميا ، لأنه كان مفيدا على أيامه فائدة عملية ، وكتب فيه « لوكريتيوس » لأنه وجد فيه وسيلة جذابة لجنى ثمرة ما اعتقد أنه الحقيقة الفلسفية ، أما غرض « فيرجيل » فلم يكن التثقيف بقدر الامتاع ؛ حقيقة أن ما كتبه « فيرجيل » هو نتاج عقل راجح ، حتى لقد استشهد به بعض العلماء مثل « بلينى الأكبر » فى تاريخه الطبيعى و « كولوميلا » فى عمله « عن الريف » « De Re Rustica » ، وان حبه للزراعة وللريف نهو حب صادق بلا أدنى جدال ، ولكنه كان يكتب ليرضى الذوق الفنى والأدبى لقرائه ، بالاضافة الى غرضه العملى ، ولذلك فقد نثر « فيرجيل » خلال الموضوعات العلمية كثيرا من العناصر القومية والدينية والأسطورية والخيالية ، ليزين بها التفاصيل الزراعية التى قد لا تثير اهتماما ، حتى لقد استطاع « فيرجيل » أن يخلق شعرا من أشياء لا تمكن

---

(٥٤) انظر : على الأخص الزراعيات ١ ، ١٢١ وما بعده ، حيث يتبع فيرجيل عرض لوكريتيوس لحياة الانسان البدائى ، قارن لوكريتيوس ، عن طبيعة الأشياء ١ ، ٤١٥ وما بعده ، ٥ ، ١١٠٥ وما بعده .

بها أدنى شاعرية ، وقد عبر « فيرجيل » عن عدم ثقته فى نفسه وهو يتعرض لمثل هذه الموضوعات التافهة (٥٥).

ناتى الآن الى بيت القصيد فى هذا المقال ، أعنى « الانيادة » لقد بدأ « فيرجيل » فى كتابتها حوالى ٣٠ ق·م وهو فى سن الأربعين ، وقد عكف على كتابتها الاحدى عشرة سنة الأخيرة من حياته ، ومع ذلك لم ينته من تنقيحها ، بحيث يرضى عن نشرها ، فقد كان بها كثير من أنصاف الأبيات التى لم تكتمل ، حتى لقد أراد « فيرجيل » أن يقوم بتدمير هذا العمل الضخم حين وافته المنيـة ، لولا تدخل الامبراطور « اوغسطس » وعمل على انقاذه ، فامر (فاريوس » و « توكا » أن يقوما بنشر « الانيادة » على أن يحذفا الزيادات دون أن يضيفا شيئا من عندهما · وعلى هذا ، وبعد مرور عامين على وفاة « فيرجيل » أى حوالى عـام ١٧ ق·م ، طلعت على العـالم ملحـمة « فيرجيل » الخالدة « الانيادة » التى تنبا لها «بروبيرتيوس» بأنها ستكون « شيئا ما أعظم من الالياذة » · (٥٦)

---

(٥٥) انظر مثلا الزراعيات ٣ ، ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، وهو مقدم على موضوع الغنم والماعز · وانظر أيضا الزراعيات ٤ ، ٦ـ٧ ، عندما يتعرض لموضوع النحل :

Duff, op. cit., p. 326 ff.

(٥٦) انظر بروبيرتيوس ، ٢ ، ٢٦ ، ٦٥ :

'Cedite Romani scripores, cedite Grai, Nescio quid maius nascitur Iliade".

ويبدو أن « الانيادة » لم تكن أول محاولة يقوم بها « فيرجيل » اكتابة الملاحم ، فقد سبقتها بعض المحاولات التى لم يكتب لها النجاح (٥٧) ومع ذلك فان « فيرجيل » لم ييأس ، فقر أعلن فى الأبيات الافتتاحية من الجزء الثالث للزراعيات عن عزمه على محاولة الكتابة فى موضوع أكثر سموا ، حيث يقدم ملحمة عظيمة يكون « قيصر أوغسطس » الشخصية الرئيسية بها (٥٨) . وقد وفق « فيرجيل » أكبر توفيق أن اختار قصة « أينياس » لتكون الهيكل الذى يبنى عليه ملحمته ، ولم يحاول أن يكتب ملحمة تاريخية دقيقة ، فلم تكن الحروب ، التى شبت بين قتلة قيصر والحكومة الثلاثية ، لتمده بالمادة الفنية التى أمدته بها قصة « اينياس » ، فهذا الاختيار مكنه من مزج الحقيقة التاريخية بالخيال الأسطورى . ومن ثم جاءت « الانيادة » ملحمة قوية وطنية قصد بها ربط أصل

---

(٥٧) قارن الرعويتا ٦ ، ٣ـ٥ :

'Cum canerem reges et proelia, Cynthius aurem/vellit et admonuit : pastorem, Tityre, pingues/pascrere oprqrtet oves, deductum dicere carmen.'

قارن أيضا دوناتوس ، حياة فيرجيل ، ١٩ :

'Cum res Romanas incohasset, offensus materia, ad Bucolica tran iit'.

(٥٨) انظر على الأخص الزراعيات ٣ ، ٤٦ـ٤٨ :

Mos tamen ardentes accingar dicere pugnas Caesaris, et nomen fama tot ferr eper annos. Tithoni prima quot abest ab origine Caesar.

الرومان ، وعلى الأخص الأسرة اليولية ، بالآلهة والأبطال العظام ، كما قصد بها أيضا ، ولو بطريق غير مباشر ، تمجيد كثير من عادات وطقوس الرومان ، وذلك بربطها بعادات وطقوس عصر الأبطال · ثم ان « اينياس » وأتباعه ، باصرارهم على احراز النجاح ، رغم اعتمادهم على الآلهة فى حل جميع الصعوبات والمخاطر التى واجهتهم ، يمثلون خير تمثيل تلك الفضائل والمميزات التى عملت ببطء على تأسيس الامبراطورية الرومانية وتدعيمها ، بينما « أينياس » نفسه ، باعتباره الحاكم الأبوى لشعبه : قائدهم فى المعركة ، وواضع تشريعاتهم فى وقت السلم ، وكاهنهم الأعظم فى كل ما يتعلق بالشئون الروحية والدينية ، يمثل بوضوح شخصية « أوغسطس » مؤسس الدولة الجديدة (٥٩) ·

والانيادة تتألف من اثنى عشر كتابا تحوى على ما يقرب من ٩٨٩٦ بيتا · فهى عمل ضخم جدا ، حتى أن الامبراطور قدى علق عليه بأن « فيرجيل » عندما بدأ هذا العمل ، كان ولابد فى حالة من حالات ذهاب العقل (٦٠) ·

---

(٥٩) انظر :

T.E. Page, Virgil, Aen, VI., Intr. p. XVIII Sellar's Virgil, p. 344.

(٦٠) انظر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١ ، ٢٤ :

'Tanta incohata res est ut paene vitio mentis tantum opus ingressus mihi videar, ...

Duff, op. cit., p. 321.

تصف الكتب الستة الأولى تجوال أينيـاس ومغامراته ، بينما تصف الكتب الستة الثانية حروبه ومعاركه ؛ فكأن الملحمة الرومانية اذن تمثل ملحمتى « هومر » الأوديسا والالياذة ، كما أنها تسير على منوالهمـا فى معظم أجزائها ، وان كان هناك أيضا بعض الأجزاء التى نسجت على منوال « الأرجونوتيكا » التى كتبها « أبو للونيوس الرودى » الشاعر السكندرى المعروف الذى ازدهـر فى الفترة ما بين ٢٢٢ ، ١٨١ ق٠م٠

لقد افتتح فيرجيل ملحمته بالأبيات التالية : (٦١)

انى اتغنى بالسلاح وبالرجل الذى قدر له أن يكون أول من يأتى من شواطىء طروادة ويصـل الى ايطاليـا وساحل لافينيوم ، رغم أنه كتب عليه أن يكون طريدا ؛ لقد قاسى ذلك الرجل وتعذب فى البر والبحر بقوة من السماء ، وذلك ارضاء لغضب جونو الذى لا يهـدأ ولا يلين ؛ كما تحمل الكثير فى المعارك الحربية ، قبل أن يتمكن من تشييد مدينة وتدعيم آلهته فى اقليم لاتيوم ؛ وقد أتى من صلبه العنصر اللاتينى وسادة ألبـا وروما ذات الأسوار الشامخة ٠

---

(٦١) لقد لخصنا أسطورة تأسيس روما بشىء من التفصيل فى مقال آخر بعنوان « الاساطير الرومانية » ، نشر فى نفس هذه السلسلة ، العدد الثانى من المجلد السادس ، أبريل عام ١٩٦٨ ٠

وكما فعل « هومر » فى « الأوديسا » ، فعل «فيرجيل» أيضا فى « الانيادة » ، فلم يبدأ الأحداث منذ سقوط طروادة وبداية مغامرات « أينياس Aeneas » ، بل بدأها وقد أوشك « اينياس » أن يصل الى غايته ، فقد كانت ايطاليا على مرأى البصر ، لولا « جونو Juno » عدوة الطرواديين اللدودة ، منذ حكم « باريس » بالتفاحة الذهبية لفينوس ؛ فقد كانت تعلم أن نهاية قرطاجة ، وهى أحب مدينة لديها ، ستكون على يد رجال من طروادة بعد أن يؤسسوا لأنفسهم امبراطورية أخرى جديدة أشد وأعظم . ومن ثم فان « جونو » قد استطاعت أن تستميل « ايولوس Aeolus » اله الرياح ، فيرسل عاصفة هوجاء تعصف باسطوله الذى جرفه التيار قريبا من ساحل أفريقيا الخطر . ولكن نيبتونوس « Neptunus » اله البحار أحس بالعاصفة ، فأدركه برحمته ، فجعل المياه تهدأ والأمواج تخلد الى السكون . لقد غمر اليم ثلاثا من سفن « اينياس » ، ولكن البقية الباقية وصلت ساعة الى مواقع مختلفة من الشاطىء . وفى اليوم التالى توغل « اينياس » داخل البلاد ، يصحبه تابعه المخلص « اخاتيس Achates » حتى وصل الى مدينة قرطاجة . وفى الطريق تقابله أمه الالهة « فينوس Venus » ، وكانت قد اطلعت من « جوبيتير Juppiter » على المصير الرائع الذى قدر لمدينة « روما » ، فتخبره بأن « ديدو Dido » هى حاكمة هذا الموطن الجديد ، فقد هربت من موطنها الأصلى

« تيرى » بعد مقتل زوجها السابق « سيخايوس Sychaeus » . لقد استقبلت الملكة « ديدو » البطل « أينياس » أحسن استقبال واكرمت وفادته . وأرسلت « فينوس » « **كيوبيد** Cupido » ليجعل « ديدو » تهيم غراما بحب « أينياس » ، وذلك بايعاز من « جونو » ، التى كانت تهدف الى استبقاء « أينياس » بجوار « ديدو » وبذلك لا يتحقق له ما كان مقرر أن يقوم به . وأثناء الوليمة التى اقامتها فى تلك الليلة اكراما لضيفها العزيز ، تطلب منه أن يصف لها سقوط طروادة ويحدثها عن جولاته جولاته ومغامراته .

وفى الكتاب الثانى يبدأ « أينياس » الرواية ، فيتحدث عن سقوط طروادة وقصة الحصان الخشبى ، وكيف أن أمه « فينوس » أمرته بالفرار بصحبة أبيه « أنخيسيس Anchises » وابنه أسكانيوس » ، وهو نفسه ايولوس Julus » الذى قدر له أن يكون مؤسس الأسرة **اليوليه** « gens Julia » . أما زوجته « كريوسا Creusa » فقد تاهت عنهم ، وبينما كان يبحث عنها ، يقابله شبحها ، فقد ماتت ، ويفضى اليه انه قدر عليه أن يستقر فى بلاد الغرب « Hesperia » .

وفى الكتاب الثالث يتابع « أينياس » حديثه عن تجواله منذ ذلك اليوم بحثا عن الوطن الموعود ، فيصل

أولا الى طراقيا ومنها الى كريت وبعدها الى بيروس ، ثم الى صقلية حيث مات أبوه « أنخيسيس » .

اما الكتاب الرابع فيعرض فيه « فيرجيل » علاقة « ديدو » مع « أينياس » . لقد مكث أينياس في « قرطاجة » عدة شهور تحوطه « ديدو » برعايتها وتغمره بحبها ؛ لقد باحت « ديدو » لأختها « أنا Anna » بأنها على الرغم من قسمها بالا تتزوج أبدا بعد موت زوجها الراحل ، الا أنها تنهار يوما بعد يوم منذ وقعت تحت تأثير سحر « أينياس » . وذات يوم ، بينما كانا في رحلة صيد ، أرغمتهما ريح عاصفة أن يحتميا في كهف ، حيث نسيا نفسيهما ، وشربا كأس الحب حتى الثمالة ، وحدث بينهما ما ظنته « ديدو » زواجا : حدث كل هذا بتدبير من « فينوس » وموافقة « جونو » على استمرار هذا الحب ، حتى تظل الالهتان في أمن وسلام ، ولكن « جوبيتر » يرسل رسوله « ميركوريوس Mercurius » ليذكر « أينياس » بواجبه . يحاول أينياس أن يدبر أمر رحيله سرا ، حتى لا يؤلم « ديدو » ولكنها تكتشف الأمر ، فتتوسل اليه الا يتركها وحيدة ، ولكن بلا جدوى ، فقد كان عليه أن ينفذ ما أمر به «جوبيتر» وفي لحظة من لحظات اليأس والألم ، التي تسببها لوعة الفراق ، تقتل ديدو نفسها .

ان مشهد اللقاء الأخير بين « ديدو » وأينياس من أروع ما كتبه « فيرجل » ، لهذا رأينا ترجمته كنموذج

من « الانيادة » ، ورغم أن الترجمة بالطبع ستفقد المشهد الكثير من روعته وجمال أسلوبه :

٣٠٤ وأخيرا هاجمت أينياس بهذه الكلمات :

« أيها الخائن ، أكنت تأمل أيضا انك تستطيع اخفاء مثل هذا الجرم الشنيع ، وترحل عن بلادي سرا ؟ ألا يمكن لحبنا وأيدينا التي تشابكت ذات يوم وديدو التي ستموت ميتة قاسية أن تستبقيك ؟ ٠٠٠٠

٣٢٥ أتفر مني ؟ بحق هذه الدموع وبحق يمناك ، اذا لم يبق لي شئ آخر غيرك ، يالي بائسة ، بحق تعانقنا ، وبحق طقوس عرسنا التي ما تزال في البداية ، لو كنت أستحق منك أي معروف ، أو كانت لمعزتي عندك أي تقدير ، أشفق على بيت يتداعى ، واذا كان ما يزال للضراعة أي مكان فاني اضرع اليك أن تطرد هذه الفكرة من رأسك !

فبسببك كرهتني قبائل ليبيا وزعماء النوميديين ، وبسببك أصبح التيريون أعدائي ، وبسببك ايضا ضاع حيائي وتحطمت سمعتي السابقة التي كنت استطيع بها فقط أن أصعد الى نجوم السماء · عن تتركني عرضة للهلاك ، أيها ··· الضيف ؟ اذ أن كلمة زوج ايضا قد تضاءلت وانكمشت ! الى أين أمضي ؟ ٠٠ ٠٠ ٠٠

٣٢٧ لو أني على الأقل انجبت منك قبل رحيلك ذرية

ما ، لو كان لى أيناس صغير يلعب فى أبهاء قصرى ، فيجعلك على الأقل تعود الى فى المستقبل ، لما بدوت أمامك باى حال على هذه الصورة الذليلة الكسيرة ! »

كانت قد تكلمت ، بينما بقى الآخر محدقا بعينيه ، بناء على تعليمات جوبيتر ، وهو يخفى بين جنبيه همـا دفينا يصر على كبح جماحه ؛ واخيرا يرددا مختصرا : « لن أنكر قط ، أيتها الملكة ، أى شىء من أفضالك ، التى يمكنك أن تعديها كثيرة جدا ؛ ولن أمل من تذكر السا ، طالما أنى ذاكر لنفسى ، وطالما أن أنفاس الحياة تدب فى هذه الأعضاء .

لتكن كلماتى قليلة لتناسب المقام . انى لم أفكر قط فى ان أحيط هذا الرحيل بطى من الكتمان ، لا تتصورى هذا ، كما أنى لم أعرض عليك أبدا مشـاعل الزواج ، أو أتيت لمثل هذه الارتباطات . لو أن الاقدار سمحت لى بان أشكل حياتى وفق هواى وأن أعمل على حل مشاكلى بمحض رغبتى وارادتى ، لكان أول ما يحظى باهتمامى مدينة طروادة ورفات أصدقائى الأعزاء ، ولظلت منـازل بريام الشامخة قائمة ، ولعملت بيدى هذه على استرداد برجام لأبنائها المنهزمين . أما الآن فقد أمرنى أبوللو سيد جرينيوم بأن استحوذ على ايطاليا العظيمة ، ايطاليا مقر النبوءات الليكية ؛ هذا هو حبى ، وهذا هو وطنى . وأنت باعتبارك فينيقية ، لو أن قلاع قرطاجة ورؤية المدينة

الليبية قد استولت على نفسك فأى ضيم فى أن يستقر التيوكريون فى أرض أو سونيا ؟ فمن حقنا نحن أيضا أن نبحث عن ممالك خارجية . ان طيف أبى انخيسيس ينذرنى فى أحلامى ويخيفنى بنظراته المضطربة ، كلما خيم الليل على العالم بظلاله الندية ، وكلما طلعت النجوم المتوهجة (كما ينذرنى أيضا) الفتى أسكانيوس والأضرار التى نزلت برأسه العزيز ، الذى أوهمته بحكم هيسبيريا وبالأراضى الموعودة . وأن رسول السماء أيضا ، الذى أرسله زيوس بنفسه ، واستشهد على ذلك براسينا ، قد حمل الى تعليمات خلال الهواء المنطلق ؛ وقد رأيت الاله فى وضح النهار وهو يدخل الأسوار والتقطت صوته بأذنى هاتين .

اقلعى عن احراق روحى وروحك بشكاياتك ، فانى لا أتجه الى ايطاليا بمحض ارادتى . »

لقد كانت تحملق فيه شذرا طوال الوقت وهو يتكلم على هذا النحو ، وهى تجيل بعينيها هنا وهنا وترمقه كله بنظراتها الصامتة ، ثم انفجرت فى اشتعال وقالت ما يلى :

« لم تكن أمك الهة ، ولم يكن داردانوس ، أيها الغادر ، مؤسس عنصرك ، ولكنك جبلت من صخر أصم ، اذ أنجبتك جبال القوقاز المريعة ، وأرضعتك نمرات هيركانية .

فلما ذا اخفى الحقيقة ؟ ولأى مصائب أجل ادخر نفسى ؟ فهل يمكن أن أتصور ما هو أكثر مهانة من ذلك ؟ والآن والآن فقط لا تنظر جونو العظيمة ولا أبوها ساتورنوس الى هذه الأمور بنظرة متعادلة ·

ان الاخلاص لا امان له على الاطلاق ؛ لقد رحبت به عندما جاء الى شاطئء شريدا طريدا ، وجعلته فى لحظة جنون شريكا لى فى الملك ؛

كما انقذت أسطوله من الضياع وبحارته من الموت ·

ويلاه ؛ انى اتقلب محترقة بنار من الغيظ ! والآن فان أبوللو كاشف الغيب والنبوءات الليلية ورسول السماء الذى أرسله زيوس بنفسه ، يحمل الآن الأوامر الخطيرة خلال الهواء ·

هذا بالطبع هو كل عمل آلهة السموات العلى ! وهذا هو الهم الذى يقلق راحتهم ! انى لن أستبقيك ولن أرد على ادعاءاتك ؛

اذهب لتحملك الرياح الى ايطاليا ، ولتبحث عن الممالك وسط الأمواج ·

وانى اتمنى فى الواقع أن تتجرع كأس الشقاء وسط صخور البحر ،

آه لو تستطيع قوى الآلهة الطيبة ذلك ، وأن تهتف باسم ديدو مرارا وتكرارا .

ورغم بعدى عنك ، فانى سوف أكتفى أثرك بالنيران المريعة ، (نيران الهات الغضب) .

وعندما ينزع الموت البارد الروح عن أعضائى ، فان طيفى سيلاحقك فى كل مكان : أيها الناكر للجميل ، سوف ينزل بك العقاب .

وسوف أسمع بذلك ، اذ ستصل الى الرواية حتى ولو كنت فى أعماق العالم الآخر » .

قالت هذه الكلمات وقطعت الحديث من منتصفه ، وانطلقت بسرعة وكأن مرضا أصابها ، ونأت بنفسها عن ناظريه واندفعت الى الخارك ، تاركة اياه وقد انعقد لسانه بخوف شديد ، وان كان يود أن يقول الكثير .

أما هى فقد انهضتها الوصيفات وحملن أعضاءها المنهارة الى حجرتها المرمرية وأرقدتها على السرير .

ولكن اينياس الطيب ، رغم أنه يتوق الى أن يخفف من آلامها بالتسرية عنها ، والى أن يزيح عنها الهموم بكلماته ، فانه يئن أنينا موجعا ، ويضغط على قلبه المعذب بحبه العظيم ،

(٣٩٦) ويعود الى الأسطول تنفيذا لأمر السماء .

ويبـدو أن « فيرجيـل » فى هذا الكتـاب قد تأثر برومانسية مدرسة الاسكندرية ، وخاصة بعمل « أبوللونيوس الرودى » المسمى « أرجوناوتيكا » ، فشخصية « ديدو » تشبه الى حد ما شخصية « ميديا » ، الا أن « ديدو » أقوى شخصية وأكثر رومانتيكية . وفى هـذا الكتاب تظهر على « أينياس » للمرة الأولى والأخيرة مظاهر الضعف الانسانى ، ولكنه قد يبدو أيضا ، كما رأى البعض (٦٢) ، خسيسا جديرا بالازدراء ، فقد قبل حب « ديدو » ثم هجرها وتركها لليأس والموت ، كما أن رده عليها فى الدفاع عن نفسه يغلب عليه طابع المنطق والبلاغة الباردين . ولكن يجب أن نذكر دائما أن « اينياس » طبقا لتصوير « فيرجيل » له ، ليس لديه الا قدر ضئيل جدا من حرية الارادة ، وهجره « ديدو » أمر حتمى ، فهو تنفيذ لقوة ارادة السماء ، التى تتحكم فى آمال الناس ولا تعنى بأى شىء عارض يقف حائلا دون تحقيق ارادتها ؛ وان ما جرى لأنطونيوس وما جناه عليه حبه لكليوباترا كان صداه ما يزال يتردد فى أرجاء الامبراطورية ، عندما بدأ « فيرجيل » يكتب « الانيادة » ؛ وقد يكون غرض « فيرجيل » الاشارة الى أن حب أى امرأة ، مهما كانت ، يجب أن يعد أمرا تافها ، اذا قيس بمصالح الامبراطورية ، وكان حائلا أمام بناء مجدها العظيم .

(٦٢) انظر :
T.E. Page, Virgil, Aen. VI intr. pp. xx-xxi.

وعلى كل فان هذا الكتاب يكشف عن حدة فى الطبع ، وتأجج فى العاطفة ، وقدرة فائقة على خلق المواقف الدرامية ، وهى مزايا لم تكن ليظهر منها فى أعماق « فيرجيل » السابقة الا لمحات خاطفة ٠

أما الكتاب الخامس فهو يمثل مرحلة انتقال تخفف من حدة مأساة « ديدو » ، وتمهد لغموض وروعة الكتاب السادس ، كما أنه يقدم فرصة يحاكى فيها « فيرجيل » بعض المشاهد من « هومر » ٠ فقد خصص معظم هذا الكتاب لعرض الألعاب التى أقامها « اينياس » ، بعد عودته الى صقلية ، احتفالا بمرور عام على وفاة أبيه ؛ وهى تشبه الى حد كبير الألعاب التى أقامها « اخيل » تكريما لموت صديقه « باتروكلوس » ، كما صورها « هومر » فى الكتاب الثالث والعشرين من « الالياذة » ٠ وينتهى الكتاب بانقاذ بعض سفن « أينياس » بمعجزة من الحريق الذى اشتعل فى الأسطول بايعاز من « جونو » ، ويغرق باليتوروس Palinurus مرشد سفينة « أينياس » كفدية لسلامة الآخرين ٠

ويبدأ الكتاب السادس بوصول « أينياس » الى ساحل ايطاليا ٠ وما ان يصل حتى يأخذ فى البحث عن العرافة « سيبيلا Sibylla » فى « كوماى »
ان « فيرجيل » فى هذا الكتاب يبدو أكثر غنى وثراء وأكثر استقلالا وبعدا عن النقل والتقليد ، فقد جمع

« فيرجيل فى هذا الكتاب كل ثمار دراسته وثقافته واطلاعه عن الأساطير والنبوءات والطقوس وعن التاريخ والفلسفة ووضعها جميعا فى تلك الصورة الخيالية الرائعة التى صور بها رحلة « أينياس » الى العالم الآخر وكشف بها عن أحداث المستقبل ، هذا رغما من التشابه الظاهرى بين رحلة أينياس الى العالم الآخر فى انيادة « فيرجيل » ورحلة « أوديسيوس » فى الكتاب الحادى عشر من أوديسا « هومر » .

ان الكتاب رائع وممتع . وان الصورة التى رسمها فيرجيل لنزول الوحى على العرافة لهى احدى الصور الجميلة التى جاءت فى هذا الكتاب .

(٤٥) كانوا قد وصلوا الى الأعتاب ، عندما قالت العذراء :

« هذا وقت طلب الوحى ، الآله ، هاك الاله ! » وفجأة لم يبق لهذه المرأة ، التى قالت مثل هذا الكلام أمام الأبواب ، نفس الملامح ، كما لم يبق لونها على حاله ، ولم يعد شعرها ممشطا ، بل أخذ صدرها يعلو لاهثا ، وينفتح قلبها بجنون وحشى ؛ وهى تبدو وكأنها أكبر مما هى ، ولا تنطق بما هو آدمى ، فقد نفث فيها الآن من قوة الاله القريبة .

فهى تقول : « أى أينياس الطروادى ، أتتأخر عن

تقديم النذور والأدعية ، انتأخر ؟ فقبل ذلك لن تفتح الأبواب العظيمة لهذا المنزل الذى أصابته الدهشة » ٠ ثم صمت بعد ان قالت هذا الكلام ٠

لقد سرت فى عظام التيوكريين الجامدة رعدة باردة ، ثم انهمر الملك بالدعوات من أعماق فؤاده :

« أيا فويبوس ، يامن كنت تعطف دائما على الشدائد الثقال التى حلت بطروادة ، يا من وجهت سلاح باريس الدردانى ويده الى جسد سليل أياكوس ، انى بارشادك دخلت بحارا عديدة تحف بلادا عظيمة ، وقبائل الماسيلى القاصية ، والحقول التى تمتد أمام صخور سيرتيس ، وهانحن الآن فى النهاية نتشبث بشواطىء ايطاليا التى تحاول الهرب منا ؛ وانى أدعو أن يكون حظ طروادة قد تبعنا الى هذا الحد فقط ٠

٧٧ ـ واكن الكاهنة ، ولم تعد تطيق الآنفويبوس ، فانها تضطرب فى الكهف اضطرابا وحشيا ، بأمل أن تتمكن من اخراج الاله العظيم من صدرها ٠ ولكن كلما ازداد اضطرابها ، كلما ازداد فمها المجنون انهاكا ، وقهر قلبها المتوحش وشكلها قهرا ٠

وانفتحت الآن أبواب المنزل المائة الضخمة ٠

انفتحت من نفسها تحمل اجابات الكاهنة خلال الهواء :

« أنت يا من انتهيت أخيراً من أهوال البحر العظيمة ، ان أموراً أكثر خطورة تنتظرك على البر ؟ سيصل الدردانيون الى مقاطعة لافينيوم ، اطرح هذا أرى حروباً .

حروباً مريعة ، ونهر التيبر يفيض بدم غزير ...

(٩٣) ان مثل هذا الشر المستطير ، الذى سيحيق بالتيوكريين .

سيكون مرة أخرى بسبب زوجة أجنبية وعرس أجنبى .

أما أنت فلا تخضع للشرور ، بل عليك أن تتقدم بجرأة لمواجهتها .

فى الطريق الذى يسمح به قضاؤك وقدرك . ان أول طريق للنجاة ،

وهذا آخر ما يخطر لك على بال ، سيفتح من مدينة يونانية . »

وعندما يرجو « أينياس الكاهنة ان تسمح له بالذهاب الى العالم الآخر ، ليشاهد أباه مرة أخرى

فانها تطلعه على الطريقة التى تمكنه من تحقيق مأربه ، كما تطلب منه البحث عن الغصن الذهبى ونزعه ، اذ بدونه لن تفتح أبواب العالم الآخر ! ثم تأمره بدفن جثة يرى جثة « ميسينوس Misenus » ضارب النفير الذى احد زملائه · وبعد خروج « أينياس » من كهف العرافة ، أغرقته الآلهة لتحديه اياها بموسيقى نفيره ، التى كان يلهب بها حماس الرجال فيهبون للقتال ثائرين ، فينفذ أمر الكاهنة فى الحال ويقوم بطقوس الدفن ·

٢١٢ – وفى أثناء ذلك لم يقل بكاء التيوكرين على الشاطىء ·

من أجل ميسينوس ، وقاموا بتقديم الطقوس الأخيرة الواجبة ·

للرفات الذى فقد الشعور ، فقد هيئوا له أولا مكانا ضخما للاحراق ·

وغنيا بقطع من خشب الأناناس والبلوط ، ونسجوا الجوانب بأوراق قاتمة ، وفى الأمام وضعوا أشجار السرور الجنائزية ، الزينوا الجزء العلوى بأسلحة وضاءة ·

أسرع قوم باعداد الماء الساخن فى قدور نحاسية تغلى ·

فوق اللهب ، وغسلوا جثمان الميت البارد وضمخوه .

ثم علا الصراخ . عندئذ يعيدون وضع الجسد الذى يبكون عليه فوق النعش ، ويلقون عليه الرداء القرمزى ، ذلك الغطاء المعروف .

بينما اخذ قوم آخرون يحملون النعش الضخم على أكتافهم ، وياله من عمل محزن ، ويمسكون شعلة النار التى توضع إلى اسفل ، ووجوههم الى الخلف طبقا لعادة الأسلاف . لقد احترقت قرابين مكدسة من البخور ولحوم الأضحيات والأوانى المفعمة بزيت الزيتون .

وبعد ان خمد الرماد وانطفا اللهب ، رشوا بالنبيذ الرفات المتبقى والرماد الظمآن ، ثم وضع كورينايوس العظام المتجمعة فى اناء برونزى .

وهو نفسه دار حول خلانه ثلاث مرات ليطهرهم بالماء الطهور ، بأن أخذ ينثر الندى الخفيف بغصن من شجرة زيتون مثمرة : طهر الرجال ثم قال كلمات الوداع الأخيرة .

أما اينياس الورع فقد اقام قبرا ضخما ، ووضع للرجل أسلحته الخاصة ، الا وهى مجدافه وبوقه ، تحت تل مرتفع يسمى الآن باسمه ميسينوس .

وهو يحتفظ بذلك الاسم الخالد عبر الدهور .

وبعد ذلك يواصل « اينياس » السير بحثا عن الغصن الذهبى ، حتى يتمكن من العثور عليه بمعونة زوج من الحمام أرسلته أمه « فينوس » لتدله عليه وما أن يعثر « أينياس » على الغصن الذهبى حتى ينزعه ثم تتقدم القرابين لآلهة العالم الآخر .

٢٥٥ لكن انظر ، ها قد بدأت الأرض تخور تحت أقدامهم .

عند شروق أشعة الشمس ، كما بدأت أرجاء الغابة تهتز .

وخيل اليهم أن الكلات تعوى خلال الظلام عند مقدم الهة . « ابتعدو ، ابتعدوا يا من لم تطلعوا على الأسرار المقدسة » .

صاحب الكاهنة ، « ابتعدوا عن كل الغابة :

وأنت يا أينياس شق طريقك واستق سيفك من غمده ،

فهذا وقت الشجاعة ، وهذا وقت القلب المتين » . .

٢٧٣ أمام المدخل نفسه وفى بداية فتحات أوركوس استقرت الأحزان المنتقمة ،

وسكنت الأمراض الشاحبة والشيخوخة المحزنة ،

والخوف والجوع الذى يدفع المرء الى الشرور ،
والعوز البغيض ،

والموت والكد ، وهى اشكال بشعة المنظر ،

ثم توأم الموت أعنى النعاس ، ورغبات النفس الشريرة :

وفى الجهة المقابلة وجدت حاملة الدمار ،

وغرف الايومينيديس الحديدية ، والنزاع المجنون ،

وقد نسج شعره الثعبانى بجدائل دامية .

وفى الوسط تنشر شجرة دردار ضخمة وارفة الظلام

تنشر فروعها وأذرعتها العتيقة ، وهى التى يزعم العامة أن الأحلام الزائفة تسعى للسكنى بها وتلتصق بكل ورقة منها ،

وبالاضافة الى ذلك ربضت أشكال متوحشة لحيوانات مختلفة .

. . . .

٢٩٥ من هنـا يبدأ الطريق الذى يؤدى الى مياه أخيرون الترتارى .

وهنا دوامة سريعة تغلى بالطمى وباضطراب مائى واسع ،

وتصب كل الرمال فى نهر كوكيتوس · ويرعى هذه المياه وتلك الأنهار ملاحم مخوف ،

هو خارون ذو الهيئة الرثة المخيفة ، الذى له لحية كثة بيضاء ·

تغطى عارضيه ، وعيناه تقدحان شررا ،

وتتعلق ثيابه الرثة من كتفيه بعقده ·

وهذا الملامح نفسه يدفع قاربه من أسفل بالمجداف ، ويدير حركته بالشراع ،

ويحمل الأجساد فى قاربه الأزرق الصدىء ، لقد أصبح الآن كهلا ، ولكنه بوصفه الها له شيخوخة صلبة مزدهرة ·

الى هذا الموضع تتدافع الى الشوطىء من كل فج كل تلك الجموع :

أمهات وآباء ، وأجساد أبطال عظام ·

قضت نحبها فى الحياة ، وفتيان وفتيات عذارى ،

وشباب حرقت أجسادهم أمام أعين ذويهم ،

مثلهم كمثل العدد الجم من الأوراق المتساقطة فى الغابات .

فى أول برد الخريف ، أو كمثل أسراب الطير التى تتجمع

من أقصى البحار لتأتى الى اليابسة ، عندما يدفعها فصل الشتاء .

البارد عبد البحار ويبعث بها الى الأراضى الدافئة .

لقد رفض « خارون » أول الأمر حمل « أينياس » والكاهنة فى قاربه ، ولكنه ، عندما رأى الغصن الذهبى الذى لم يره منذ أمد بعيد ، اقترب بقاربه منهما ، واستقبلهما مرحبا . وما أن عبر « أينياس » والكاهنة هذا النهر ، حتى سمعا عويل وصراخ من ماتوا ولم يتجاوزوا مرحلة الطفولة ، كما مروا بأشباح من وجهت اليهم اتهامات كاذبة ، وبأشباح من قتلوا أنفسهم . وفى الوديان الحزينة

يلتقيان بمن ماتوا من قسوة الحب :

٤٥٠ وكان من بين هؤلاء ديدو الفينيقية التى لم يندمل جرحها بعد ،

وهى تتجول فى الغابة العظيمة . وما أن يقف البطل الطروادى

قريبا منها ويتعرف على طيفها خلال الظلال ،

كمن يرى أو يحسب انه يرى القمر يطلع

فى أول الشهر خلال السحاب ،

حتى انهمرت دموعه وخاطبها بحب رقيق :

« أى ديدو البائسة ، أهو حق اذن ذلك الخبر الذى

وصلنى بأنك مت ، وأنك لقيت حتفك بحد السلاح ؟

وا أسفاه ! أكنت أنا السبب فى موتك ؟ اقسم بالنجوم ،

وبالسموات العلا ، وبكل ايمان موثوق به فى العالم السفلى ،

بأنى ما رحلت عن شاطئك ، أيتها الملكة ، الا مكرها ،

ولكن اوامر الآلهة التى اضطرتنى الآن أن أسير

خلال هذه الظلال عبر الأماكن الوعرة الموحشة فى الليل البهيم ،

وأن أسعى فى طلب مملكتى ، والا اثق فيما أرغب ،

هى التى أجبرتنى على أن أسبب لك مثل هذا الحزن العظيم برحيلى عنك .

توقفى عن السير ، ولا تنأى بنفسك عن ناظرى .

ممن تهربين ؟ فهذه الكلمات التى أتوجه بها اليك هى آخر كلماتى لك ، هـكذا أشاءت الأقدار » .

بمثل هذه الكلمات حاول « أينياس » أن يهدىء من روع طيف « ديدو » ، ويستدر عطفها ؛ أما هى فلم تتأثر ملامحها من حديثة بأكثر مما يتأثر الحجر الأصم ، وفرت من أمامه كأنه عدو لها واتجهت الى زوجها السابق « سيخايوس » ، ليسرى عن أحزانها ويبادلها حبا بحب .

يتابع « أينياس » سيره مع الكاهنة حتى يمرا بالأراضى المنعزلة « Arva Ultima » التى يكتظ بها من علت شهرتهم فى الحرب . ومن هناك يرى « اينياس » أسوارا عالية يحوطها نهر « فليجيثون « Phlegethon المتأجج » ، وهذه الأسوار ، كما أخبرته الكاهنة هى أسوار « تارتاروس » سجن من حكمت عليهم الآلهة بالعذاب الأبدى .

واخيرا يصلون الى مقر الصالحين « Elysium » حيث يلتقى بروح أبيه « أنخيسيس » ، الذى يكشف له عن سير الأمور فى العالم ، وعن وسائل التطهير التى تمكن البشر من السماح لهم بدخول مقر الصالحين ، كما يخبره أبوه بأنه من هذه الأرض البهيجة « Laeta Arva » سيعود الى العالم الدنيوى بعد ألف سنة بعض الرجال

الذين قدر لهم أن يكونوا هم الرومان العظماء ، ومن بين هؤلاء الرجال احفاد « اينياس » نفسه ، ويصف له مغامراتهم فى عرض لتاريخ روما متضمنا الامبراطور « أوغسطس » وابن اخته ووريثه « ماركيللوس » الذى اختطفه الموت وهو فى ريعان الشباب عام ٢٣ ق.م فكتب عنه فيرجيل بتلك المقطوعة الشهيرة (٨٦٠-٨٨٦) التى يقال أن أمه الثكلى « أوكتافيا » قد أغمى عليها عندما قرأها « فيرجيل » فى حضرتها ، وقد جاء فى نهايتها (٨٨٢-٨٨٦) : وا أسفاه أيها الغلام البائس ، لو تستطيع تحطيم القدر القاسى ،

فسوف تكون ماركيللوس ! هيا أملاءوا يدى بالزنبق ،

دعونى انثر ازهار البنفسج ، وأكدس على الأقل

أكواما من هذه القرابين على روح حفيدى م، ولأقم

بهذا الواجب البسيط .

وفى الكتاب السابع يعود « اينياس » الى رفاقه ويتابعون رحلتهم الى مصب نهر التيبر ، فيزلون باقليم « لاتيوم » الذى كان يحكمه « لاتينوس Latinus » . وكان لهذا الحاكم ابنة تسمى « لافينيا Lavinia » وكانت مخطوبة لتورنوس – Rutuli ملك الروتوليين

Turnus الذى يسكنون احدى المقاطعات فى نفس الاقليم · ولكن كانت هناك نبوءة تعلن أن الفتاة لابد وأن تتزوج من أمير أجنبى · عندئذ يبعث « اينياس » بسفارة الى « لاتينوس » فيستقبلها بالترحاب ، اذ يُقن أن « اينياس » هو زوج ابنته المرتقب ، وتنشأ بين الطرفين علاقات ودية · ولكن الالهة « جونو » كانت للطرواديين بالمرصاد ، فتثير « توروتوس » الذى يقوم بتسليح أهل لاتيوم الذين اتحدوا مع الروتوليين لحاربة الغزاة الدخلاء ، تعاونه فى ذلك « أماتا ـ Amata زوجة « لاتينوس » وأم « لافينيا » ، الأمر الذى يضطر معه « لاتينوس » أن يعلن سخطه عليهم جميعا ويغلق القصر على نفسه ·

أما الكتاب الثامن فنرى فيه أن « التيبر » الأب قد زار « أينياس » فى المنام وأمره بالسعى فى طلب معونة « أفاندر Evander » حاكم مدينة باللانتيوم Pallanteum » وفى الصباح أسرع أينياس الى « أفاندر » الذى صحبه فى رحلة حول الأرض المقدسة ، حيث قامت « روما » فيما بعد ، كما أراه الغابة الكابيتولينية الكثيفة التى جعل منها « روملوس » فيما بعد محرا باللآلهة وقد اقترح « افاندر » على « اينياس » أن يطلب معونة الاترسكيين الذين ثاروا ضد حاكمهم الطاغية «ميزنتيوس» واضطروه الى الخروج من بلادهم · فلجأ الى «تورنوس»،

فقبل « اينياس » الاقتراح ، وخرج الى معسكر الاترسكيين ، يصحبه « بالاس Pallas » ابن « أفاندر » · وفى تلك الأثناء استطاعت فينوس أن تقنع زوجها « فولكانوس » أن يصنع لأينياس عدة حربية تتضمن درعا محفورا عليه عرضا لبعض المشاهد المستقبلة من تاريخ « روما » حتى معركة « أكتيوم » ·

وفى الكتاب التاسع تتمكن « جونو » من اقناع « ايريس Iris » الهة النزاع أن تذهب لتثير «تورنوس» حتى يعمل على انتهاز فرصة غياب « اينياس » ، ويقوم بالهجوم على معسكر الطرواديين ويشعل النار فى معسكرهم · ولكن « نيبتونوس » يحول السفن الى حوريات من عرائس البحر · وبناء على تعليمات « اينياس » التى كان قد تركها لأتباعه قبل رحيله ، يظل الطرواديون خلف الأسوار · وفى اليوم التالى بدأ « تورنوس » الهجوم على الطرواديين من جديد ، وتمكن من اقتحام استحكاماتهم ، ولكنهم قطعوا عليه الطريق ، حتى أنه تمكن من التقهقر بكل صعوبة ·

وفى الكتاب العاشر نرى مجلس الآلهة منعقدا وقد ثار به جدل حاد بين « جونو » و « فينوس » حول مصير الحرب ، ولكن « جوبيتر » قرر ترك الأمر للأقدار · وعلى كل فان « اينياس » تمكن من عقد محالفة مع « تارخون Tarchon » قائد الاترسكيين ، الذين اعتلوا ظهر

أسطولهم ، حتى وصلوا قريبا من معسكر الطرواديين ، رغم مجابهة « تورنوس » لهم . ونشبت بين الفريقين معركة حامية ، أبلى فيها « باللاس » ابن « أفاندر » بلاء حسنا ، ولكنه قتل فى النهاية بيد « تورنوس » . فيثور « أينياس » ويثأر لمقتله بالقضاء على عدد غير قليل من أبطال الأعداء ، ولكن « جونو » تتمكن من انقاذ «تورنوس» بابعـاده عن الميدان ، فينازل « أينياس » « ميزينتيوس » ويقتله .

يبدأ الكاتب الحادى عشر بعقد هدنة يتم فيها دفن جثث القتلى واقامة الطقوس الجنائزية لهم . ثم يعقـد اللاتين مجلسـا لمناقشة الموقف الحربى ، حيث يقترح أحدهم وضع حد لهذه الحـرب بأن ينـازل « تورنوس » « أينياس » فى مبارزة فردية ، ولكن هذا الاقتراح لم يلق التأييد الكامل أمام نصيحة « تورنوس » بضرورة محاولة القيام بمعركة أخرى . وعلى كل فان هذا المجلس ينفض على عجل ، اذ وصلته أنباء بأن الطرواديين يهاجمون المدينة ، فيهرع الجميع الى القتال وعلى رأسهم « تورنوس» . بعد معركة طويلة يتراجع اللاتين الى مدينتهم فى فوضى واضطراب .

وفى الكتاب الأخير تعقد هدنة أخرى بين الطرفين ، تتم خلالها انهاء الحرب بمنازلة « أينياس » لتورنوس . ولكن احدى العرائس ، وهى « جوتورنا Juturna »

اخت تورنوس حرضت الروتوليين على خرق الهدنة بالقاء سهم على « اينيـاس » فأصابه بجـرح عميق • ولكن « فينوس » جعلت الجرح يندمل فى الحال ، بينما شنقت « اماتا » نفسها لاعتقادها أن تورنوس ، قد لقى مصرعه •
وبعد أن صالح « جوبيتير » « جونو » بقراره الذى يتضمن اتحاد الطرواديين مع اللاتين فى امة واحدة ، اشتبك البطلان « أينياس » و « تورنوس » فى القتال • وسقط « تورنوس » ، واذ هو فى النزع الأخير ، يطلب فى رجاء واستعطاف أن يرد جثمانه الى أبيه العجوز •

وكان « أينياس » على وشك أن يرق قلبه لهـذا « تورنوس » ، عندئذ يصرخ صرخة مدوية ويهوى بسيفه الموقف ، لولا أن راى حزام « باللاس » حـول وسـط فنقضى عليه بضربة قاتلة •

بهذا تنتهى ملحمة « فيرجيل » الخالدة « الانيادة » ، التى ظلت تعتبر لقرون عديدة ، وعلى الأخص فى القرون الوسطى ، أعظم عمل انتجته عبقرية انسان ، ولم تخط أى أشعار اخرى ، على الأقل فى العالم الغربى ، بمثل ما حظيت به هذه الملحمة من شهرة واسعة واهتمام بالغ من رجال اللغة والأب • حقيقة أن الانيـادة ، باعتبـارها ملحمته تصور الحروب والمغامرات ، لا يمكن أن ترقى الى مستوى الالياذة والأوديسا فى قوتها وحيويتهـا • تشابه كبير من ناحية الشكل يغرى دائما بعقد المقارنات

والواقع أن الانيادة والأشعار الهومرية ، رغم ما بينها من بينها ، تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا فى الروح والطبع ، حتى انه لا ينبغى ، كما اقترح أحد النقاد (٦٣) ، عقد المقارنات بينها ، فالأشعار الهومرية ثمرة نتاج عبقرية فطرية نظمها الشاعر ليتغنى بها أثناء الأعياد والاحتفالات التى كانت تقام فى العصور الأولى تمجيدا للأبطال العظام ، وهى تصف اناسا يعيشون تقريبا بنفس الطريقة التى كان يعيش بها من كتبت الأشعار فى عصرهم : أما « الانيادة » فهى خلق فنى ، كتبها شاعر ينتظر الرعاية من الامبراطور ، ويتوقع النقد من « مايكيناس » وجماعته الأدبية ، وهى تحاول أن تضفى الروح على أشباح الماضى البعيد بحيث تبدو مقبولة لدى اناس يختلفون عنهم تمام الاختلاف فى كل شىء · ومن ثم فان أهم ما يهم « هومر » ومستمعيه هو القصة والأحداث ، ويأتى الشكل الفنى فى المرتبة الثانية ، أما بالنسبة لفيرجيل وقرائه فان الصورة الفنية والأدبية فى المقام الأول ، وتأتى بعدها حقيقة أحداث القصة ·

وفى هذه الناحية الفنية لا يشك أحد فى أن « فيرجيل » هو سيد الايقاعات العذبة والتعبيرات الأدبية · فان الوزن السداسى ، الذى كان عند « انيوس »

(٦٣) انظر :
T.E. Page Virgil, Aen. VI, Intr. pp. Xviii-xix.

خشنا غير مصقول ، وعنـد « لوكريتيوس » ،رغم قوته واحكامه ، تنقصه الرشاقة والتنوع ، قادرا على التعبير عن كل العواطف المختلفة • وليس معنى ذلك أن الرشاقة الفنية الظاهرية هى كل شىء عند « فيرجيل » • فالمشاعر عنده عميقة فياضة رغم أنه يحاول السيطرة عليها وكبح جماحها • وان حبه لبلاده واعتزازه بعظمتها وايمانه بان رسالتها فى حكم العالم قدر مقدور لنشر المدنية والسلام يتخلل كل الملحمة تقريبا ويبرز بين عديد من الأبيـات الرائعة •

فشـعبها واسـع السـلطان مـزهو بحـروبه (٦٤)

ويقول على لسان « جوبتير » •

انى لا أضـع حـدودا لممتلكـاتهم أو حـدا زمنيـا لسلطانهم •

فقد منحتهم ملكا لا نهاية له (٦٥) •

ونحن أنفسنا سترفع الى النجوم أحفادك فى المستقبل

وسنمنح مدينتهم سلطانا (٦٦) •

---

(٦٤) الانيادة ، ١ ، ٢١ •

(٦٥) الانيادة ، ١ ، ٢٧٨-٢٧٩ •

(٦٦) الانيادة ، ٣ ، ١٥٨-١٥٩ •

تذكر ، ايها الرومانى ، انك تحكم الشعوب بنفوذك

ستكون لك هذه الفنون

التى تسن بها قانون السلام

وتعفو عن المنهزمين ، وتحارب المتعجرفين (٦٧) .

ولكن رقة « فيرجيل » وحزنه الممزوج بالتفكير العميق هما سر خلوده . فهو يفكر طويلا ، ويتألم من تقلبات القدر وقصر الحياة البشرية ، ولكن حزنه لم ينزل ابدا الى مستوى اليأس ، فالدرس ، الذى استفاده من أن الموت حق وأن الحياة قصيرة ، هو الدافع الى الايمان بضرورة العمل والكفاح .

لكل انسان يوم معلوم ، وان وقت الحياة قصير لا يعوض بالنسبة للجميع ، ولكن بالأعمال الجيدة

تمتد الشهرة ، وهذا هو عمل البسالة (٦٨) .

ان « فيرجيل » متدين بدرجة عميقة ومؤمن ايمانا جازما بوجود قوة مسيطرة تكافىء الأخيار (٦٩) وتعاقب

(٦٧) الانيادة ، ٦ ، ٨٥٣–٨٥١ .

(٦٨) الانيادة ، ١٠ ، ٤٦٧–٤٦٩ .

(٦٩) الانيادة ١ ، ٦٠٣ وما بعده .

الأشرار (٧٠) ، ولكنه حائر أمام لغز ذلك القدر المحتوم(٧١) ·

وعلى كل حال فان أعمال « فيرجيل » كانت تقرأ في عصره على نطاق واسع ، حتى لقد أدخلت ضمن المقررات المدرسية فى مدارس الأدب والخطابة (٧٢) . مما كان له أكبر الأثر لا على الأدب فحسب بل على اللغة اللاتينية كلها ، كما أن أعماله أصبحت موضوعا للتعليق والتحليل لكثير من النقاد والمعلقين والمهتمين باللغة وكان « دانتى » يعتبره أستاذه ومرشـده فى الجزء الخاص بالجحيم (٧٣) ، وبلغ من تقديس الناس لفيرجيل أن اعتبروا أعماله كالأزلام « Sortes Vergilianae » يستهدون بها قبل القيام بأى عمل هام ، كما يفعل العامة الآن بالكتب المقدسة ، كما أن المسيحيين الأول كانوا يرون فى الرعوية الرابعة ما يبشر بظهور المسيحية (٧٤) ·

---

(٧٠) الانيادة ، ٢ ، ٥٣٥ وما بعده ·

(٧١) الانيادة ٨ ، ٣٣٤ وما بعده ·

(٧٢) قارن سويتونيوس ، عن النحاة ، ١٦ ، جوفينال ٧ ، ٢٧٧ دانتى ·

(٧٣) أنظر دانه ، الجحيم ١ ، ٨٥ـ٨٧ ·

(٧٤) قارن : Duff, op. cit., pp. 351-352; T.E. Page, Virgil, BUC., Intr. pp. xv-xvii.